

صورة الآخر الغجري في الرواية الجزائرية

(رواية "الغجر يحبون أيضاً" لواسيني الأعرج أنموذجاً)

صادق البوغبيش

الرتبة: (طالب دكتوراه، فرع اللغة العربية وأدائها في جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران)

sadegh8258a@yahoo.com

رسول بلاوي

الرتبة: (أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وأدائها في جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران)

r.ballawy@pgu.ac.ir

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2022/07/30	2022/06/14	2022/01/10

Abstract

The Algerian novel is of great importance in Arab fiction literature and was the most important link in the development of the modern Arab novelist art. Although the Algerian novel revealed its role in narrating the struggle against the occupation, its course has evolved and its contents have turned from local and national issues to global issues. Wassini Laaraj is an Algerian novelist who searches for global issues and oppressed peoples in order to convey their suffering to the recipient in an artistic style and an interesting narration. This research, according to the descriptive-analytical approach, seeks, in light of the concept of the image, to study the image of the Roma other in the novel "Gypsies also love" by the novelist Wassini al-Araj, to clarify the image of the Roma other in Algerian society and then reach an understanding of the Roma identity through the text of the novel. During the study to show how the ego interacts with the other gypsy.

Key words: the Algerian novel, the image of the other, the novel " Gypsies also fall in love", and Wassini Laaraj.

المُلخَص

للرواية الجزائرية أهمية بالغة في الأدب الروائي العربي، كما كانت هذه الرواية، الحلقة الأهم لتطور الفن الروائي العربي الحديث ورغم أن الرواية الجزائرية أفصح عن دورها البيّن في سرد النضال ضدّ الاحتلال، فقد تطورت مجرياتها وتحولت مضامينها من قضايا محلية ووطنية إلى قضايا عالمية. واسيني الأعرج روائي جزائري يبحث عن قضايا عالمية وشعوب مضطهدة لكي ينقل معاناتهم للمتلقّي بأسلوب فنيّ وسرد شيق، ومن أعماله الأخيرة رواية "العجر يحبون أيضاً" حيث يعالج من خلالها، قضايا مرتبطة بالعجز المضطهدين من قبل الشعوب والحكومات. يسعى هذا البحث وفق المنهج الوصفي- التحليلي في ضوء مفهوم الصورة أن يدرس صورة الآخر العجزي في رواية "العجر يحبون أيضاً" للروائي واسيني الأعرج، لتبيين صورة الآخر العجزي في المجتمع الجزائري ومن ثم الوصول إلى الإحاطة بالهوية العجزية واستيعاب مستورها من خلال نص الرواية وتسلسل أحداثها، ويرمي البحث من خلال الدراسة إلى إظهار كيفية تفاعل الأنا مع الآخر العجزي.

المفردات المفتاحية: الرواية الجزائرية، صورة الآخر، واسيني الأعرج، رواية "العجر يحبون أيضاً".

1. المقدمة

ليست العجر أقلية دينية ولا طائفية ولا عرقية، لا أرض لهم، ولا جنسية، يحملون وطنهم معهم ويجوبون العالم، هويتهم هي عاداتهم وتقاليدهم، فمنهم المسلم والمسيحي، ومنهم من لا دين له، يعتبرون العالم كله ملكهم، ويعيشون في كل ارجائه، هناك اختلاف بالنسبة لأصولهم، والأغلبية تقول أنهم من الهند. لعلّ أهم ما يميز المجموعات العجزية هو شغفهم بالرقص والغناء وتُعد هذه الفنون مصدر رزق للكثير منهم، حيث يعتبرونها جزءاً أساسياً من عاداتهم وتقاليدهم التي يفتخرون بها، وتضاف إليها تقاليد وفنون أخرى كصناعة الحلبي والإكسسوارات والخواتم، كما اعتمدوا في الماضي على تجارة الحمير والبغال، ومن المهن التي برعوا فيها أيضاً وأصبحت على وشك الانقراض هي طب الاسنان وتركيب الأسنان الفضية والذهبية. أهم ما كان يميز العجر عن غيرهم هو الترحال والتنقل من مكان إلى آخر، والذي بات أمراً صعباً في العصر الحالي، حيث أصبح هذا التنقل بين البلدان المختلفة محظور عليهم، كما أن الكثير من مهنهم قد اندثرت، وزاولوا مهنة التسوّل والتكدي في بعض البلدان، فالعجر من الشعوب التي لا تحب الالتزام والعمل.

تغيّرت مضامين الرواية العربية الحديثة في الجزائر، وصار الأدباء يهتمون بالعناصر الأكثر جدلاً بدل الخوض في سرد وقائع محلية وصلت حد الإشباع. قضية العجر في الأوطان العربية قضية قديمة حيث تواجدت العجر في الكثير من الأوطان العربية، وتعايشت هذه الجماعات مع العرب، والمهم في هذا التعايش هو أنّ الجميع ينظرون إلى العجر من منظار واحد وبأوصاف مشابهة، ومن المتفق عليه من أوصاف العجر هو أنهم يجلبون الأمراض، ويفشون الفساد، ويسرقون الأطفال

والأموال، ويديرون بيوت الدعارة، ويمتهنون الرقص وبيع الهارات، ورجالهم حاملون لانفع منهم، وهذه الأوصاف ارتسمت صورة العجر، فرغم أن بعض الأدباء حاولوا توظيف هذه الجماعات بصورة رمزية، إلا أن هذه الصورة النمطية استقرت لدى الشعوب وبقية الأدباء ولم تتغير رغم المحاولات الكثيرة. رواية "العجر يحبون أيضاً" للروائي الجزائري "واسيني الأعرج" تتحدث عن المعاناة التي تكبدها العجر في وهران الجزائرية، زمن سلطة الآخر الفرنسي، واحتلاله لهذه البلاد، حيث نرى معاملة شخوص الرواية للعجر، معاملة غير حضارية.

1-1. تحديد الموضوع

واسيني الأعرج روائي جزائري يكتب عن العجر ومعاناتهم في المجتمعات الشرقية والغربية ويرسم لنا ما تعانيه هذه الفئة من اضطهاد وانتساب جرائم لاصلة لهم بها، من خلال رواية "العجر يحبون أيضاً". نحاول من خلال هذا البحث، دراسة الآخر العجري في هذه الرواية وكيفية نظرة الأنا للآخر العجري ونظرة الآخر العجري للأنا وأهميتها في المجتمعات الإنسانية.

2-1. إشكالية البحث

دراسة الآخر في الرواية العربية تساعد القارئ العربي على معرفة الأطياف الأخرى القاطنة في مجتمعه، والمتلبسة بثقافته وعاداته، لذا حاولنا أن ندرس الآخر العجري في رواية "العجر يحبون أيضاً" لإشكاليتين، أولاً: لم تدرس هذه الرواية بصورة أكاديمية رغم أهميتها وأهمية مضامينها الاجتماعية، ثانياً: أن صورة الآخر العجري باتت تتغير في الأدب العالمي وهذا التأثير والتغيير دخل في الرواية العربية من خلال رواية "العجر يحبون أيضاً"؟

3-1. أسئلة البحث

الأسئلة التي تُطرح في هذا البحث:

ما هي ملامح صور الآخر العجري في رواية "العجر يحبون أيضاً" وما أنواعها؟

كيف ظهرت صورة الآخر العجري في الرواية وما الفوائد المكتسبة من قراءتها؟

من الذي يمثل الأنا في مواجهة الآخر العجري؟

4-1. خلفية البحث

من خلال البحث في مجال صورة العجر والدراسات التي تشمل هوية العجر، تبين لنا أن هناك دراسات أكاديمية على مستوى كتاب، أو أطروحة جامعية، أو مقال محكم.

أ: كتب حول الغجر

طه حمادي الحديثي (1979) له كتاب بعنوان "الغجر والقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافية الاجتماعية التطبيقية" وقد قسّم الكتاب على أربعة فصول: الفصل الأول: يختص بالصفات الاثنوغرافية والديموغرافية، الفصل الثاني: الاستيطان، الفصل الثالث: النشاط الاقتصادي، الفصل الرابع: يحتوي على مشاكل الغجر والقرج واقتراحات لحلولها. ويرى الكاتب أن أهم مشكلة لدى الغجر [في عصر الكاتب] هي عدم منحهم الجنسية العراقية، وكأنه لا يعلم بأنّ الغجر أصلاً لا يريدون جنسية كي لا يتقيّدوا في جغرافيا خاصّة، وغفل عن المشكلة الأساسية التي باتت أهم قضية لدى الغجر وهي مسألة الحدود والتضييق على ترحالهم. لا ننسى بأنّ الكتاب تناول الفعاليات الاقتصادية للغجر وتحصيلهم العلمي، وأماكن تجوالهم المعتادة سابقاً، ومناطق أقامتهم الحالية، ولا يهتم بالجانب الأدبي ألبتة.

جمال حيدر (2008م) كتب كتاباً بعنوان "الغجر: ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب" نُشر من دار المركز الثقافي العربي، ودرس الهوية، والقيم والأعراف، وسلوك الغجر في المنطقة العربية، والهولوكوست، وفنون الغجر، والأساطير، وبما أنّ الدراسة لا بأس بها، إلا أنها تفتقر من ناحية الدراسة الميدانية، والتحليلية وحتى التوصيفية، فقد اكتفى الكاتب بالسرد ونقل الأقاويل ولم يستند بدراسات سابقة ومحكمة.

كتبت الكاتبة الأردنية مي بنات كتاباً بعنوان "صورة الغجر في الرواية.. دراسة مقارنة في نماذج عربية وعالمية" صدر عن دار الآن ناشرون وموزعون. احتوى الكتاب على ثلاثة فصول، مهّد لها باستهلال يشمل أولاً التعريف بجماعة الغجر التي تتضمّن: التسمية، وأصول الغجر، ولغة الغجر، والمعتقد الديني لدى الغجر، وأبرز عادات الغجر التي تضمّ بدورها: الأسرة والموت والدفن، وثانياً: الصورة النمطية للغجر، وثالثاً الغجر والأدب.

هناك كتاب للكاتب حميد الهاشمي بعنوان "تكيف الغجر: دراسة إنثروبولوجية اجتماعية لجماعات الكاولية في العراق" وقد قسّمه إلى عشرة فصول: الفصل الأول: من هم الغجر والكاولية؟ الفصل الثاني: فرضيات في أصل الغجر، الفصل الثالث: الغجر أو الكاولية في العراق، الفصل الرابع: القرابة والزواج في مجتمع الكاولية، الفصل الخامس: النسق الديني، الفصل السادس: النسق الاقتصادي، الفصل السابع: الضبط الاجتماعي، الفصل الثامن: الاتصال والتفاعل الاجتماعي، الفصل التاسع: التكيف الاجتماعي، والفصل العاشر: أوضاع الكاولية في العراق اليوم. فالكتاب يحتوي على دراسة شاملة تعرّفنا على غجر العراق، تستحق القراءة والتقدير.

ب: مقالات ودراسات حول الغجر

كتب مالك صقور مقالاً بعنوان "بحثاً عن الحرية (الغجر)" في مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سورية، السنة الحادية والأربعون، العدد 493، أيار 2012، وقد أصّل الكاتب إيصاله الغجر قائلاً: "كان هؤلاء الغجر قد غادروا موطنهم الأصلي البنجاب قبل أكثر من ألف عام، وعبروا البوسفور في طريقهم إلى أوروبا،

حيث انتشروا في كل بلد وتكيفوا مع كلّ نظام"، وبما أنّ الكاتب عربيّ، إلا أنه قد غفل عن مصادر ونصوص عربية مهمّة واستند بقصائد ونصوص أجنبية لمعرفة الغجر وترحالهم من مكانٍ إلى آخر.

نشرت مجلة المرحلة، سنة 2016، دراسة مهمة بعنوان "سكان الأهوار والبيئة" في العدد الثاني والاربعون 2016/4/15 في قسم التراثيات، للكاتب حسين چلوب الساعدي، كانت هذه الدراسة ميدانية، حيث عاش الكاتب حقبة زمنية مع الغجر لتصوير حياتهم اليومية، إلا أن الدراسة كانت قد كتبت عن الغجر في اليوم نفسه، فلم تتقصّى جذورهم، ولم تتطرق إلى كيفية إقامتهم في الأهوار، وتقبلهم هذه الحياة وتكيفهم معها تاركين الرقص والترحال.

الكتب التي اهتمت بموضوع الغجر في الرواية، وتناولت دراسة صورتهم الحقيقية قليلة جداً، لهذا حاولنا أن ندرس صورة الغجر في الرواية العربية من منظار الآخر الغجري، فتجد الإشارة إلى بعض الدراسات التي اهتمت بصورة الآخر في الأدب، وهي:

كتب أياد عمّاوي في عام (2007م)، كتاباً بعنوان "الأنا والآخر ودورها في رسم وتحديد العلاقة بين الوطن العربي والغرب" قُسّم على أربعة فصول: دراسة الصّورة عند الآخر الغربيّ، وصورة الآخر الغربيّ عند العرب، والعلاقة بينهما وصورة الفلسطينيين عند الغرب والأمريكيين.

نشرت ماجدة حمّود عام (2010م)، كتاباً بعنوان "إشكالية الأنا والآخر: نماذج روائية عربية"؛ وقد اختارت المؤلّفة في هذا الكتاب ثمانيّ روايات من عدّة بلدان عربية وناقشت رؤية الأنا العربية ولغتها وموضعها تجاه الآخر وكيفية إيجاد علاقة التفاهم والتعامل مع الآخر في دراسة متأنية للروايات. من ميزات الكتاب أنّه يحتوي على مقدّمة نظرية حول إشكالية الأنا والآخر، وتمتاز دراسة الرّوايات بتجاوز المستويات الاجتماعية والثقافية والسياسية، والاهتمام بجماليات اللّغة والمكوّنات السردية كالعنوان، والفضاء، والاسم، والضمير، والحوار.

كتب محمد قاسم لعبي (2011م)، أطروحته بعنوان "صورة الآخر في الرواية العراقية المعاصرة"، والتي نوقشت في كلية الآداب، جامعة المستنصرية. الأطروحة مشتملة على الفصول التالية: الفصل الأول: الذات الكلية العربية التي تتبّى القضايا العربية في مواجهة الآخر، والفصل الثاني: اهتمّ بالذات الفردية، والذات القوية الصلبة، والذات المتأرجحة، والذات المغتربة والاعتراضية، والفصل الثالث: يدرس صورة الآخر وقد توزّع على ثلاثة مباحث، كان هدف المبحث الأول منه دراسة صورة الآخر الخارجي (الأجنبي)، أما المبحث الثاني فكان الهدف منه دراسة صورة الآخر الداخلي (المحلّي)، واهتمّ المبحث الثالث برصد اتجاهات رؤية الآخر. أما دراستنا هذه فهي تعالج الآخر الغجري في رواية "الغجر يحبون أيضاً"، حيث لم يتطرق لهذه الدراسة أحد من قبل.

2. الصورولوجيا

ارتبط مفهوم الصورة بالمفاهيم المقترنة بالمرأة، والمرأة هو السطح الذي "يعكس كل ما يقوم أمامه، فأَي شيء يمتلك خاصية السطح العاكس فهو مرآة وهذا الذي يقوم أمام المرآة يعرف باسم الأصل، وأمّا الذي تعكسه فهو يعرف بالصورة أو الانعكاس، وتدور الصورة مع أصلها وجوداً وعدمًا، فإنَّ وُجِدَتْ كان الأصلُ موجوداً، وإن انعدمت أو غابت كان الأصلُ منعدماً أو غائباً¹". فمن هذا الانعكاس تظهر أهمية للصورة وأصلها، لهذا يُظهر الحديث عن الأنا والآخر والارتباط القائم بينهما، صورة تساعدنا على كشف هويتنا التي سُمِّيت بالأنا، "حيث تعمل ذات الآخر مرآة نرى فيها ذاتنا التي تعمل بدورها كمرآة تساعد الآخر على رؤية ذاته"². إذا كانت الصورولوجيا حقلاً من حقول الأدب المقارن ومن أول المجالات التي تطرَّق إليها هذا الأدب، فمن الذي يكوّن الصورة ويخلقها؟ يرى عبدالمجيد حنون أنّ الأديب يحاول أن يخلق الصورة، قريبة من الواقع الحقيقي؛ لأنّها "لا تطابق الواقع الحقيقي، وليست شديدة القرب منه، ولكنّها ليست مختلفة عنه تمام الاختلاف، إنّها رؤية معقولة لشعبٍ عن شعبٍ آخر، تعتمد على عوامل عقلية وأخرى مادية موضوعية وذاتية"³. إذاً الصورولوجيا هي دراسة الصورة الأدبية لمجتمع الآخر والهوية التي يحتضنها، وهذا أمرٌ طبيعي؛ لأنّ الإنسان يحاول أن يقارن نفسه ويوازنها مع الآخر؛ وهذا الآخر ربّما يكون أجنبياً أو من أهله لكي تظهر المقارنة.

2-1. موضوع الصورولوجيا

الصورولوجيا أو علم الصورة دراسة حديثة حيث تعدّ "من أحدث ميادين البحث في الأدب المقارن، وبها تُعرف مكانة كل أمة لدى غيرها من الأمم، وبها تُرى صورتها في مرآة آداب الشعوب الأخرى"⁴. موضوع الصورولوجيا هو دراسة صورة الأنا والآخر؛ لكنّ الآخر ذاته قد أثار كثيراً من الجدل والاختلاف حوله، حيث إنّ الكثيرين يتوسّعون في مفهومه ويرون أنّ مفهوم الآخر هو المضاد للذات والوجه المقابل أو النقيض لها، وتأسيساً على ذلك، فإنّهم يوسّعون دائرة المفهوم بحيث يشمل كلّ من يغير الذات على الإطلاق، وإذا طبّقنا ذلك على الشعر فإنّ الممدوح والمهجو والمرثي والمرأة وغيرهم يندرجون في هذا الإطار⁵ والكثير من الدارسين يدرجون الآخر تحت مفهوم الأجنبي الذي يخالف الأنا في الجنس، والانتماء الديني، والفكري والبُعد الجغرافي، فمن هذا المنظار يكون موضوع الصورولوجيا في الأدب المقارن هو "دراسة صورة بلاد وأشخاص أجنب في أعمال شاعر أو كاتب أو في مدرسة وفترة زمنية"⁶ كما سنبين في هذه الدراسة أنّ الروائي الجزائري اعتمد على العرق لكي يخلق جبهتين متخاصمتين، جبهة العجري المطرود من المجتمع والعرق الأبيض المتألّه على العجري.

2-2. أنواع الصور

قسّمت سلاف بوحلايس الصورة إلى نوعين، الأولى: صورة شعبٍ في أدبه، والثانية: صورة شعبٍ في أدبٍ شعبٍ آخر. في النوع الأول "لا يتعدّى إطاره القومي واللغوي، فهو إذن يبحث فنيّات الأديب في طرق موضوعه أو فنيات الأدباء في تناول الموضوع، بالوصف والتحليل مثل صورة الفرنسيين في أدبهم أو صورة المرأة الألمانية لدى أديب ألماني، أو صورة المرأة المصرية في روايات نجيب محفوظ أو في الأدب المصري عموماً"⁷ وفي هذا النوع تكون الأنا صورةً للأنا ذاتها. وفي النوع الثاني حيث "لا تهتمّ إلا

بالشعوب المجاورة لها أو التي تشترك معها في مسألة، أو أن يكون لها معها مصالح اقتصادية، أو تريد كسب ودّها أو تخشئ بأسها⁸ وهناك من قسّم الصورة إلى مباشرة وغير مباشرة. "تأتي الصور المباشرة من علاقة وتعامل الأنا مباشرة بالآخر والعيش في بلد الآخر وفي ثقافته ويحصل عن طريق تأثير شعب في آخر وتركيز أدباء الشعب المتأثر على تصوير الشعب المؤثر في فن أدبي معين كالرواية، أو القصة القصيرة، أو المسرحية، أو الشعر"⁹. والصورة غير المباشرة تأتي على أساس الصور الأخرى "مثلاً الشاعر لم يعيش في بلد الآخر ولم يواجه ثقافته من قريب بل يصوره على أساس الصور التي قدّمها الآخرون في آثارهم أو على أساس ما قرأ عنه في الكتب الأخرى. وفي هذه الحالة يكون التركيز على حياة الكاتب ومدى صلته بالبلد المقصود، ثم يبيّن كيف استقى معلوماته أو كيف رأى البلد رأي العين، وإلى أي حد كانت الصورة التي رسمها لذلك البلد صادقة أو كاذبة"¹⁰ ولكن الصور في رواية "العجر يحبون أيضاً" قائمة على العرق والانتماء العرقي بين العرق الفرنسي والعرق العجري والعربي.

2-3. الأنا والآخر لغةً واصطلاحاً

احتوت قضية الأنا والآخر على قضايا فلسفية، ونفسية واجتماعية في اللغة، وشكّل هذا الاتجاه من الأدب أغراضاً مختلفة، سنبحثها في طيّات رواية "العجر يحبون أيضاً" بعدما نأتي بتعريفها وتوصيفها.

2-3-1. الأنا والآخر

جاء مفهوم الأنا في اللغة العربية لتبيين وتعريف الشخص بنفسه وفي لسان العرب نقراً بأنّ "الأنا لغة ضمير مفرد يخصّ المتكلم ولا تثنية له إلا بنحن. يصلح نحن في التثنية والجمع"¹¹ وجاء في المعجم الفلسفي "الأنا مفهوم فلسفي يدل على ذات الأفعال المتعمّدة أي الأفعال التي تأخذها الشخصية بالحسبان وتحمل مسؤوليتها"¹² إذاً المقصود من لفظ الأنا، المشاعر والأفكار والجانب الواعي لذات الشخصية الإنسانية تجاه كل ما يختلف عنها وخارج إطارها ولا يمت لها بصلة، حتّى ولو كان من أهلها ربّما يختلف معها.

أمّا الآخر فهو بمعنى الغير في اللغة و"يُعبّر عنه أيضاً بعبارة ألفاظٍ كالمختلف أو المغاير أو المتميّز، ويقول البعض إن الضمائر الأخرى، مثل أنت وهي وهو وغيرها من الضمائر هي إشارة إلى الآخر أو للـأنا في مقابل الأنا"¹³ وفي المعنى القريب البسيط هو "كلّ من يقارب الأنا وأنت ونحن؛ أمّا في المعنى الاصطلاحي الأبعد فالأمر مختلف"¹⁴ وما ذلك إلا "لأنّ في الوجود الإنساني آخر دينياً ومذهبياً وقومياً وعرقياً وجغرافياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً؛ فتتعدّد دوائر الآخر ومستوياتها بتعدّد دوائر الأنا ومستوياتها. ويختلف تحديد الآخر تبعاً لموقع الناظر إليه؛ فالآخر بالنسبة للذات الدينية هو ذلك الإنسان الذي ينتهي إلى دين آخر، أمّا الآخر بالنسبة إلى الذات القومية أو العرقية فهو الذي ينتهي إلى قومية أو عرقية أخرى"¹⁵ وعلى هذا المنوال، سندرس رواية "العجر يحبون أيضاً" حسب علم الصورة التي جاء ذكرها وتعريفها.

3. مصطلح العجر

يطلق مصطلح "العجر" على "مجموعة من الأفراد ينتمون إلى عرق يختلف عن العرق الذي ينتمي إليه مواطنو البلد التي يرتحلون إليها، وكان يتميز أصحاب هذا المسمى بالترحال، وهم من أصل هندي، ظهر لأول مرة في إنجلترا في بداية القرن السادس عشر تقريباً، وظن الأوروبيون وقتها أنهم قادمون من مصر، والعجر ليس المسمى الوحيد الذي يطلق على هذه الفئة من البشر، فهناك مسميات أخرى أشهرها "كأولية" في العراق، و"نور" في الشام ومصر، وتشتهر لهم في مصر أيضاً مسميات "الحلب" خاصة في الصعيد، والغزواتية، والهنجرانية، ولكل مسمى من تلك المسميات سبب وخلفية تاريخية، لكن يشترك الجميع في أنهم عجر"¹⁶

1-3. صفات العجر

حاول بعض الباحثين تحديد صورة معينة للعجر وقد كان "جورج مين" من بين الذين حاولوا تحديد صفات العجري الحقيقي أو النموذجي، فقد قرر "أن العجري الحقيقي له بشرة داكنة وشعر أسود، وعينان لامعتان، وأسنان براقية، ووصف "تلمهاجن" عجري سويدي بأنه كان قصير القامة ممتلئ الجسم ذاكتفين عريضين. فبشرتهم تميل إلى السواد بصفة عامة، وتتدرج من اللون الزيتوني القاتم إلى البني أو الأسود"¹⁷ أما عن أوصاف العجر لدى العامة فقد "اختلفت تسميات العجر في أزمنة مختلفة ومدن متميزة، غير أنها ارتبطت بالتصورات السائدة لدى العامة عنهم وتتمحور حول معنى موحد يتبلور بأن العجر هم: المشعوذون، داكنو البشرة، اللصوص، السحرة، المتسولون، والفئات المنحطة في المجتمع، والكفرة وحاملو الأمراض"¹⁸.

2-3. معتقدات وعادات العجر

بحث بعض العلماء والمحققين في أصل العجر ورسومهم وعاداتهم ونشرت كتب في هذا المجال وقد اتفق أكثرهم بأن "لغة العجر هي اللغة السانسكريتية ونشأتهم كانت في الهند وخرجوا من هناك ولديهم عادات متشابهة وهناك بعض العجر يأخذون عادات أهالي المناطق التي يسكنونها للعيش بأمان ودون إحراج"¹⁹.

وهذا ما اتفق عليه العلماء إذ نقراً: "يرى علماء فقه اللغة أن لغة العجر لغة هندو أوروبية ترجع بجذورها إلى السنسكريتية. ويرجع هذا إلى أن نقطة انطلاقهم كانت وسط أو جنوب آسيا. وقد امتزجت لغتهم قليلاً بالاختلافات المحلية، ومع ذلك فهي أينما وجدت أوثق ارتباطاً باللغة الهندوستانية من أي لغة أخرى، كذلك قرر "جروم" أن هناك ما يقرب من مائة كلمة يونانية في لغة الرومي، وهناك العديد من الكلمات السلافية، وبعض كلمات قليلة من الفارسية والأمريكية والرومانية والكجرية، والكلمات الألمانية الأصل"²⁰. يعتقد العجر بمبدأين، مبدأ الخير ومبدأ الشر و"الإله عند العجر والخالق حيث هو

مبدأ الخير والجمال يسمّى بـ"o"del والشيطان وهو مبدأ الشر سُمّي بالـ"o"bengh، بعقيدة الغجر مبدأ الخير ومبدأ الشر يحملان طاقة متعادلة ولا يستطيع أحدهم النيل من الآخر، لهذا تراهما دائماً في صراع²¹.

4. القسم التحليلي

سندرس في هذا القسم من البحث مهنة الغجر، وأوصافهم، والغجري في عيون الأنا الغجرية والآخر غير الغجري.

1-4. مهنة الغجر

للغجر مهن كثيرة منها الغناء، وبيع العود والعطر، وتربية المواشي.

1-1-4. غناء الغجر

أهم مهنة عند الغجر هي حَيَم للغناء والرقص و"لا يمكن تصوّر غجري دون آلة موسيقية. فالموسيقى الهويّة البديلة عن هويتهم الضائعة، إذ تحفل موسيقاهم بطاقة تعبيرية دون مدى وتنصهر في نغماتها أقصى حالات الألم والعشق في آن. وعرف عن الغجر ارتباطهم بالموسيقى عزفاً وغناء ورقصاً وكانت مواهبهم سبباً رئيساً في حصولهم على قدر من الصفح والتسامح. وليس للغجر لغة موسيقية مشتركة، فهم حفظوا الأغاني والموسيقى المحليّة للشعوب التي شاركوها الحياة، وأضافوا إليها نكهتهم الخاصة، ونالوا بذلك الاعتراف ليغدوا جزءاً من الهوية الوطنية لموسيقى تلك الشعوب. ومنذ منتصف القرن الثامن عشر أصبحت هيمنتهم واضحة على الموسيقى ولم يعد بالإمكان الاستغناء عنهم، حتّى غدت الموسيقى من أرقى المهن التي يمارسها الغجري، كذلك أهمها كمصدر للرزق²² عُرفت جماعات الغجر بالغناء والرقص، فبمجرد دخولهم منطقة يقومون بتنظيم كرنفالات للغناء، وهناك من الغجر من تابع الغناء بشكل رسمي، كما نرى في رواية "الغجر يحبون أيضاً":

"الأسطوانة تحتوي على عشرين أغنية غجرية بصوتك الشجي، حملت عنوان الألبوم كله، تبكييني كلّما سمعتها، تماماً كما كانت تبكيك يا أنجي"²³

كان خوسي حبيب أنجلينيا مشهوراً في مصارعة الثيران، وكان يطرب لغناء الغجر رغم أنّه لم يكن غجرياً، ثم يضيف قائلاً:

"تُفتح أبواب القطار الثقيلة، فتطلّ مجموعة من الغجر برؤوسهم المتحركة، وألبستهم الملونة، وهم في حالة انتشاء، على الرغم من تعب الرحلة الطويلة. ينزلون وسط الموسيقى الاحتفالية، تسبقهم أغانيهم ونقرات القيثارة الجافة، والبيانجو، والضحكات التي لا تتوقف"²⁴

فكرنفالات الغجر تُنظّم دائماً في وسط مدينة وهران، فصوّرها لنا واسيني الأعرج، تصويراً جلياً، كي نعيش أجواءها، وعندما يسأل الشرطي الأنسة ميشلين ميلر عن كيفية سفرهم مع الغجر، تردّ عليه قائلة:

"أفروحوا الركاب في القطار بغنائهم ورقصهم طوال الرحلة. ورقص معهم كلّ من رغب في ذلك. كانوا في عربة واحدة حتّى لا يُزعجوا بقية المسافرين"²⁵

يعزف العُجْر في كل الأوقات للتسلية والحصول على مبلغ ممن يستمتع بموسيقاهم. تقول أنجلينيا:

"وأقول لماذا لا أخذ كن أغاني العُجْر، خالتي تحفظ منها الكثير، وأصدر مع فرقتي الصغيرة، ديسك فينيل 33 أو 45! الناس يحبون ذلك. من أجل هذا، يجب إيجاد ستوديو حقيقي، ومنتج متحمس لأغاني العُجْر"²⁶

تطورت العُجْر في الآونة الأخيرة وصاروا يغنون في القنوات والاستديوهات ومنهم من أصبح منتجاً للأغاني التراثية العُجْرية، فارتباط العُجْر بالغناء ارتباطاً عميقاً، حيث يستطيع العُجْر، من خلال الغناء، إثبات هويته في الأمكنة التي يقطن فيها.

2-1-4. بيع العود والعطر

هناك من يرى صلة بين فساد المرأة العُجْرية وقيامها بمهمة بيع منتجات يتولّى رجال العُجْر صنعها، كما أشار الحديثي أن هناك "صلة تحمّل المرأة مسؤولية الاتصال بالمجتمع الريفي والحضري لقيامها بمهمة بيع المنتجات التي يتولّى الرجل صنعها كالغرابيل والادوات الزراعية والمنزلية. الأمر الذي يوحي للناس بسوء اخلاقها"²⁷ وفي رواية "العُجْر يحبون أيضاً" نرى نساء العُجْر يبعن العطور والعود في الأسواق:

"شَمّ رائحة عطر أندلسي يشبه عطر العود الذي يُصنع في البيوت العُجْرية، وتبيع منه أنجلينيا لنساء الأسواق، وحتى للعابرين بعد سماع الموسيقى"²⁸

إذن كانت بطلة الرواية تبيع العود وتغني لتسويق بضاعتها، فهذا الأمر طبيعي بين أفراد العُجْر، كما كانت أنجلينيا هي من يصنع العطر الخاصّ بالعُجْر:

"فجأة، انطفأت حركة أنجلينيا، في البيت، ولكن أيضاً في السوق. لم يُعد صوتها يُسمع ولا سخريتها، ولا حتى عطرها الحادّ الذي تصنعه من دبس الرمان، والمرامح الإفريقية، وعطر البنفسج البرّي، وخلطات لا أحد غيرها يعرفها. تصنعه بيديها برفقة صديقاتها من العُجْر، ويبعنه للعمّ هارون نعوم، اليهودي الذي يأتي من الدرب حتى الكميل، مرّة في الأسبوع ليأخذه للبيع"²⁹

كانت أنجلينيا بطلة الرواية هي الشخصية النامية في النص، حيث كانت الحلقة الأساسية في ربط أحداث الرواية وكانت تمتن أكثر من مهنة كما أنها كانت جريئة في التعبير عن خلجات نفسها ولا تخاف لومة لائم.

3-1-4. العُجْر الحداد

أصبحت مهنة العُجْر في الآونة الأخيرة تعبّر عن هويتهم في المجتمعات الإنسانية كما أنّ "هناك وجهة نظر في مجال المقارنة بين الأفكار المختلفة التي تبحث عن أصل العُجْر، تترك مجال الجغرافية البشرية إلى مجال التقنية. فلا تهتم كثيراً ما إذا كان

العجر كانوا في كالديا أو مصر أو غيرها، بل الأهم هو أن القصص والأحداث كلها تصف العجر على أنهم حدادين من أنواع مختلفة. فهم يعلمون في الحديد والبرونز والذهب والمعادن الثمينة³⁰ نقرأ في رواية "العجر يحبون أيضاً":

"جزء منه يبيعه للدكاكين القريبة التي يعتبرها مورده الأساسي في أشياء كثيرة يصنعها العجر، مثل الأطباق، والأدوات الفخارية، والزرايب العجرية المدقوقة والرخيصة، لأنها مصنوعة من الوبر أو الصوف الثانوي"³¹

"وإذا كان الربا هو المدخل إلى سائر المهن التي مارسها اليهود، فإن الحدادة كانت المدخل إلى سائر المهن التي مارسها العجر، فطرق الحداد تطلق شرراً والشرير يرتبط بالسحر وقراءة الطالع، وطرقاته أيضاً تطلق إيقاعاً، والإيقاع يرتبط بالموسيقى والغناء والرقص"³² وصارت هذه صفة للعجر في الرواية العربية. فالمرأة العجرية فيما مضى كانت هي العمود الأساسي والمحور الرئيسي في العائلة والتي تُبنى عليها الأسرة، كما كانت المسؤولة عن العمل والإنفاق، الدور الذي تحوّل مؤخراً إلى الرجل، وعلى الصعيد الشكلي فالمرأة العجرية لها ما يميزها عن سائر النساء، كلون الشعر المشابه للون البشرة، والعيون الملونة، وهذه الأوصاف بحسب الكثيرين، هي من علامات الجمال.

4-1-4. تربية المواشي والحمير

بما أنّ العجر يجيدون الحدادة ف"يسير على الحداد أن يعمل حذاء للخيل، وحذاء الخيل أهمته إلى العناية بها، فيداويها ويدوي غيرها من بني جنسها، ثم صارت له مهارة في طب الحيوان بل صارت له مهارة في طب الإنسان" (كحيلة، 1994 م: 7). في رواية "العجر يحبون أيضاً" نرى غارسيا يهدّد خوسي:

"تعرف، كان المفروض أن أذبحك أنت أيضاً، وأخصيك كما أخصي الأحصنة والبيغال"³³

غارسيا هو زوج أنجلينيا التي أحبّت خوسي مصارع الثيران، وبسبب هذا الحب كان غارسيا يكره خوسي لهذا يهدّده بالخضاء أو القتل.

4-1-5. العجرية والأنوثة الشبقة

من عادات العجر، عدم إكترائهم لمسألة الشرف، وبيع الهوى يعدّ من أهم مصادر الرزق عندهم ف"العجر يأخذون من الإثارة الجنسية فرصة للتجارة، فيعملون قوادين للفسق والرغبات الجنسية على الرغم من أنهم في بعض البلاد يحافظون على عفتهم الجنسية"³⁴ في رواية "العجر يحبون أيضاً" نرى أنجلينيا، الفتاة العجرية وبطلة الرواية، تدعو الشرطي لجلسة غرامية، كي تستطيع المرور عبر الحائل الذي وضعه في محطة القطار للبحث عن أسلحة في حقائب العجر:

"ابتسمت وهي تلتفت نحو الشرطي المسلح. وماذا لو عزمتك أنا، هل تقبل منّي ذلك؟ ستستمع حقيقة بوقتك، في المشاهدة، والفرح مع العجر"³⁵.

فالفجري يعطي كل ما يريده الآخر، من أجل الوصول إلى غرضه ونيل غايته. فعندما سُجن والد أنجلينيا، وبُست من خوسي الذي كان يدعي بأنه يحبها تقول له:

"ومن طلب منك الدفاع عنه! سأدافع عن أبي وحدي حتى الموت. منحني عمره، أمنحه ما ينجيّه من المفصلة حتى ولو قدمت رأسي بديلاً عنه. وسأجد أكبر المحامين هنا، في إسبانيا، في باريس لإنقاذه. لن أسلم في والدي أبداً. سأتي بالنقود من أي مكان، حتى ولو اضطررت إلى السرقة، أو ارتياد الشوارع كما الكثيرات. لي جسد مشتبه، وما يزال يُغري الرجال".³⁶

نرى أنجلينيا تهدد خوسي ولا تريد منه مساعدة لإنقاذ أبيها، فهي التي ستعالج الأمر وتخرجه من السجن، بأي ثمن كان، حتى لو اضطرت إلى السرقة وارتياد الشوارع لإغراء الرجال وبيع جسدها، فهذا أمر لا تعير له اهتماماً كعجبية.

2-4. أوصاف العجر

يصف الكثير من الباحثين العجر بأوصاف مشتركة، كترحالهم الدائم وانتقالهم من مكان إلى آخر، وتعرضهم للقتل والسلب والنهب، وحملهم الأمراض والموت.

1-2-4. ترحال العجر

لا شك بأن للعجر أسباباً وذرائع يستندون إليها لترحالهم وانتقالهم من مكان إلى آخر، ويرى جمال حيدر بأن تعرضهم للغزاة هو السبب الأهم لترحالهم وانتقالهم هذا، حيث يقول: "وقد تعرّض العجر لتلك الموجات نتيجة تواجدهم عند المنافذ التي يمر بها الغزاة من الشمال، وفي ممرات وواديان جبال هندكوش وعلى سفح جبل بامير، الذي يطلق عليه "سطح الأرض" ولعجزها التام عن صد الغزاة، نزحت قبائل العجر من ديارها متجهة نحو أفق مجهول دونما هدف... لتدوّن الصفحة الأولى في كتاب هجرتها المتواصلة"³⁷ إذاً من عادات العجر، عدم بقائهم في مكان أو منطقة ما، حيث إنهم في ترحال دائم وانتقال مكرر من مكان إلى آخر. ففي رواية "العجر يحبون أيضاً" لواسيني الأعرج نرى صفة الترحال هذه تبرز بصورة ملموسة إذ يقول الراوي:

"وحدهم العجر يعرفون أنّ للجسد طعماً وللذاكرة رائحة، أو روائح، يرتحلون بلا مواد حتى تتوقف ساعة القلب"³⁸

ولعلّ أفضل وأبرز ما جاء في وصف ترحال العجر، هو النصّ الذي يذكره واسيني الأعرج قائلاً:

"بين سفرٍ وسفرٍ تكبر بسرعة/ ينشد القلب أحلاماً تركناها/ وأخرى على الحافة تنتظر/ نحن العجرا نملك أحظية، نتعلّ الريح والغيوم/ نظير حيث نشاء، ونبيت حيث القلب يريد/ بيننا فضاء، وسقفنا سماء/ أرضنا سراب، تتقي فيه الحدود"³⁹

ففي هذا الشاهد تبرز للمتلقى صفة السفر والترحال الدائم من خلال جملة "بين سفر وسفر" وهي صفة العجر حيث يسافرون من مكان إلى مكان آخر.

4-2-2. العجز ومسألة القتل

نلاحظ في الكثير من الروايات، ظاهرة قتل العجريات، وكأنه لا قانون هناك لحماية العجر والذود عنهم، إذ كانوا يُعاملون رسمياً كعبيد يحقّ قتلهم على يد أسيادهم "كانت رومانيا حتى عام 1856 تعاملهم رسمياً كعبيد، إذ كان ملاك الأرض جميع الحقوق، ومن بينها القتل"⁴⁰ نقرأ في الرواية:

"كلما قرأت هذه الكلمات، تمنيت لو كنت مثلك يا أمي، بكن خطاياك التي ليست إلا التعبير المجنون عن حريتك، لكنني كبرت بسرعة في عصرٍ آخر، وأصبحت شبيهة بالآلاف الذين يعبرون بالقرب من بابنا، وبحرنا، وعزلتنا. حتى عندما فاجأوني بخبر اغتيالك القاسي عند بوابة الفندق، ومقتل الجاني غارسيا بيكينيو، الذي كان يمكنه أن يكون أبي، على يد عمّو خمينث، النقابي الأحمر، الذي كان وراءك بالضبط لحظة إطلاق النار عليك.. لم أصدق، بقيت صامتة لأسبوع"⁴¹

ظاهرة قتل العجر وتحديداً المرأة العجرية، في النصوص الأدبية، تبين للمتلقّي أنّ هناك أسباباً وبواعث تكمن وراءها، فالعجرية امرأة من دون حماية، ولا ذائد يذود عنها، لذا يتصارع هذا وذاك، لنيلها والاستحواذ عليها، فما إن تُبدي علاقتها لأحد، حتى تُقتل بسبب الإغارة والحسد، كما هو الحال مع أم أنجلينا. نرى في هذه رواية أيضاً أن غارسيا زوج أنجلينا، يطلب من خوسي أورانو، بطل مصارعة الثيران في وهران، قتل زوجته أنجلينا، لأنها غازلته أثناء أداءها دور العاشقة في مهرجان المصارعة، فهذا أقلّ ما يطلبه غارسيا من خوسي:

"قال غارسيا وهو يردّ تلقائياً على آخر كلام أنجلينا - تخيل يا سيّد خوسي أورانو. هذه القحبة المجنونة، زوجتي الحبيبة! تستحقّ القتل الآن، ويُساح دمها أمام الجمهور"⁴²

وفي أثناء الأداء طلبت منه أنجلينا أن يقتلها، ولم يعرف خوسي هل كانت هذه الجملة من ضمن أداءها في المهرجان، أم أنه طلب حقيقي، حتى أنه ذهب من طلبها هذا ولم يعرف ما إذا كانت جادة في ما تقول، أم أنّ قولها مجرد مزحة، حيث تقول لخوسي:

"ماذا تنتظري خوسي؟ ألا تدخل شفرتك في رقبتي كما تعودت أن تفعل ببرودة مع الثيران؟ أدخلها، لن يحاسبك أحد، مجرد حيوان قتيل أو ضائع، إفعل، لا تتردّد."⁴³

أنجلينا الشخصية الأكثر جدلاً في الرواية، تروي لنا معاناة العجر وتُشبههم بالثيران، فقتل العجر وسفك دماءهم جريمة لا يُعتدّ بها، كما لا يوجد هناك من يطالب بدمهم، فهذه المسألة ليست حديثة بل كان العجر عرضة للاضطهاد طيلة التاريخ:

"يقال إنّ جدّها قُتل في مستشفى بوزنفالده مع حوالي نصف مليون عجريّ، أُبيد الكثير منهم بغاز زيكلون الذي استعمل لاحقاً في غرف الغاز. مساكين أبناء الريح! أنا أحبّها"⁴⁴

فلم تطالب مؤسسات حقوق الإنسان، النازيين وغير النازيين، بما فعلوه بالفجر من إبادات جماعية، ولم تتحدّث عنها، ووقع آلاف الغجريين ضحية هذه الجريمة النكراء، وعندما نعمن في حوار أنجلينيا مع خوسي نرى بأن الغجري يُقتل بمجرد حصول شك في انتماءه لجماعات أخرى:

"-ماذا لو علمت أنّ أنجلينيا مهزّبة أيضاً؟ وأنها تشبه والدها في تعاطفها مع الإرهابيين؟ هل كنت ستغفر لها أم تقتلها؟

صرخ، بلا أدنى تفكير: أقتلها.

نظرت إليه بعينها الغجريتَيْن المائلتَيْن الحادَتَيْن. وسحبت سكينها. وضعتها على الطاولة بعنف. - خذ. افعَل ما يفعله الأغبياء الذين لا لغة لهم إلا الموت، مثل الكثيرين عندنا"⁴⁵

كانت أنجلينيا عصبية المزاج، إذ لا تطيق الاتهامات التي يلصقونها بالفجر، فقد كانت جماعات الفجر تتأوّه حزناً ووجعاً من التمييز العنصري الذي تشهده في مجتمع وهران. ثم إن أنجلينيا تجرح كفها عندما رشقت السكين بعنف على الطاولة، وتقول:

"ثم أخذت السكين بعنف مرّة أخرى، ورشقتها على الطاولة الخشبية، لدرجة أن جرحت كفها. فسال الدم غزيراً.

-أرأيت هذا الدم؟ هو أرحص الدماء. أبناء وبنات الريح. تقتلني، لا أحد يحاسبك. افعَل. خلّصني ممّا أراه وأعيشه. مجرد غجريّة، وفوق هذا مهزّبة أسلحة! ربّما تُعطى درعاً وطنياً كبيراً من مرتبة الشرف، لأنه بفضلك، ستعيش الأمة بخير، بعد أن قضيت على الإرهابية أنجلينا، ابنة الإرهابي إيميليانو المدعو زباطا"⁴⁶

ترى أنجلينيا أنّ دماء الفجر رخيصة لدى القوميات الأخرى، حتّى في وهران، حيث لا يتقبلهم أحد كإناس ولا يعترف بوجودهم، لذا تقصّ على خوسي ما شهده الفجر وعاناه من ظلم وتشريد وقتل:

"مسنّي في عيني، لكنّ والدي لا. أنت لا تعرف شيئاً عنه. كان رجلاً عظيماً. ذهب حتّى المكسيك فقط ليقف على قبر زباطا. سُجن أكثر من مرّة. ترك عمله، واشترك في الثورة الإسبانية من عشرين سنة. آمن حقيقةً بالثورات الشعبية لا ثورات الصالونات. لا يحبّ القنابل التي توضع في المقاهي وتقتل العشرات من الأبرياء، لكنّه على العكس منك، يرى أيضاً بعينه الثانية جرائم الذين سمحوا لأنفسهم بكلّ شيء، سرقة الأراضي، القتل المجاني، التّشريد، قنابل النابالم في الجبال التي رأيناها. على العكس منك، نحن نجوب البلاد طويلاً وعرضاً، ونعرف الذين لا نعرفهم. ابقَ مع ثيرانك، حبيبي، ومع عشيقاتك!"⁴⁷

لا توجد رواية تتحدّث عن الفجر إلّا وفيها صور من القتل وسفك الدماء، ففي أكثر المشاهد، نرى بأن المرأة الغجرية هي التي تكون ضحية مجتمعتها، كما أن الكاتب يصور للمتلقّي بأن الغجري لا يكون مقتولاً فحسب بل يكون قاتلاً أيضاً. لا شك بأنّ قتل الفجر نراه ملموساً في تسلسل أحداث الرواية العربية، لكنهم أيضاً يرتكبون الجرائم لأتفه الأسباب، ففي رواية "الفجر يحبون أيضاً" نرى أنجلينيا تهدّد خوسي بالقتل قائلة:

"وقتها، سأعرف أنّك لم تُعدّ تحبّني، وسأقتلك أن"⁴⁸

ظاهرة القتل بين الغجر وباقي الجماعات تتواجد بصورة بارزة في رواية "الغجر يحبون ايضاً"، فقد نرى أبطال هذه الرواية يهددون بالقتل دون أن يرفق لهم جفن، ومن هنا يظهر النسق المضمّر عند الروائي حيث نرى علاقة الغجر بسفك الدماء بصفة قاتل ومقتول. نقرأ:

"فجأة استلّت سكينه رقيقة وطويلة من لباسها التحتي... في هذه الحالة، عليك أن ترحم على كريستينا. أنت الذي لم يؤمن يوماً إلا بالإنسان. والله سأقتلها ثم أرميها بالقرب من حظيرة الخنازير التي يربّيها أبونا أوغوستينو"⁴⁹

كانت أنجلينيا تبحث عن طريقة لقتل غارسيا:

"لولم أكن حاملاً بحبيبي إزميرالدا، كنت ذبحته. أسهل شيء أن تقتل رجلاً"⁵⁰

غارسيا كان زوج أنجلينيا وكان مدمناً على شرب الكحول وشخصاً عصبي المزاج، الأمر الذي جعل أنجلينيا تبحث عن مفر منه، بيد أن حملها بحبيبتها إزميرالدا هو الذي يمنعها عن قتل زوجها.

3-2-4. الغجري السارق

بما أنّ الغجر يمتنون الكثير من المهن، فمن الغريب أن نراهم يسرقون، لهذا بيّن لنا عبادة كحيله المؤرخ المصري قائلاً: "والحدادة والمهن الصادرة عنها، جعلت الغجر في حاجة إلى مجتمع في حاجة إلى مهنهم، وجعلتهم ايضاً في مستوى معاشي أعلى مما لدى عامة الناس وسوادهم، وحين كانوا لا يجدون مجالاً لمزاولة مهنهم، أو يجدون كساداً لها فإنهم ينصرفون إلى الإحتيال على رزقهم، وقد يسرقون أو يقطعون الطريق، أو يشغبون على السلطة"⁵¹ يرى الكثير أنّ الغجر يقومون بسرقة النقود في الشوارع، كما حال أنجلينيا، بطلّة رواية "الغجر يحبون ايضاً" فرغم أنّها لم تسرق، لكنّ المرأة أتهمتها بالسرقة لأنّها كانت غجيرية:

"أنقذوني. سرقني الغجر. المتوحشون سرقوا حقيبي اليدوية وكان نقودي... يبدو لا رجال في المدينة إلا المسوخ. أعرفهم."⁵²

من هنا يتحوّل الخلاف الحاصل إلى نقمة وخصام "حين يكون الهدف إهانة الآخر المختلف، وإقصاءه، كي تؤكّد الذات استعلاءها، حيث ترسم في هيئة من يمتلك الحقيقة المطلقة، وبذلك يقرأ الآخر قراءة مغلقة على قول واحد، يرسم صورة مشوهة له، فتشيع ثقافة الكراهية"⁵³ فعندما جاء الشرطي وفتّش أنجلينيا لم يجد حقيبة المرأة، لذا عندما طلب من المرأة أن تبحث عن حقيبتها بين سلع أنجلينيا، وجدت تلك الحقيبة وقامت بشتم أنجلينيا وطلبت من الشرطي اعتقالها لأنها أهانتها، ومع كل هذا تعترف أنجلينيا أنها تغني ولا تسرق واذا أرادت أن تسرق فإنها لا تسرق امرأة أبداً:

"أنت تعرف يا بابا أنّي أغني وأحلم، لا أسرق، وإذا سرفت لا أسرق أبداً امرأة"⁵⁴

في الكثير من الروايات العربية نرى العجر متهمين دائماً وبغضبين، لهذا في رواية "العجر يحبون أيضاً" عندما وجّه غارسيا تهمة لخوسي على أنه سرق زوجته، اضطرّ خوسي للذهاب إلى المخفر برفقة محاميه، ثم قال الشرطي بعصبية بالغة:

"لولا هذه الشكوى الخرا، لكنت الآن مع زوجتي وابنتي في بونا الجميلة. خربت عليّ كل شيء. كلما حدث مشكل، لا بدّ أن يكون وراءه عربي، أو عجري، أو إسباني."⁵⁵

إذن لاتقسو وهران على العجر وحدهم، بل يتهم الاستعمار جميع الأطراف عدا الفرنسيين، مع هذا فالعجر هي أكثر جماعة تعاني من التمييز العنصري. ومشكلة العجر هو الحكم عليهم بعدم انتماءهم إلى البلاد التي يتواجدون فيها، مما نشر عنهم سلبيات وأكاذيب كاللصوصية وغيرها، فبعض شباهم يلتجأون حقيقة إلى مثل هذه الأفعال.

4-2-4. العجر والإفساد

يرى الكثير أنّ العجر عاثوا في المدينة فساداً، لأنهم لا ينتمون إلى الحضارة الإنسانية. ففي الرواية نرى امرأة فرنسية تتهم العجر بإفساد المدينة:

"نعم. الآن. قبل دقائق. عندما أردت أن أدفع، لم أجد حقيبي. من يسرقني غير هؤلاء الذين أفسدوا المدينة"⁵⁶

ثمّ عندما تطلب أنجلينيا من العجوز الفرنسية أن تفتشها، تقول لها العجوز:

"يفتّشك الشرطي. لن أوسخ يدي بعجربة سراقه"⁵⁷

فتصل العنصرية والحقارة تجاه العجر، إلى ذروتها، حتّى أن أنجلينيا التي لا تخاف أحداً وتطالب بحقوقها دائماً، تسمّرت أمام هذه الجملة، واستغربت من كره هذه المرأة الفرنسية للعجر. ثمّ نرى الكثير من الأمور السلبية التي تتعلّق بالعجر:

"الأطفال الذين عُثر عليهم على حواف الكوريدا، ملفوفين في ورق الصحف، أو حتى داخل غطاءات قطنية، موضوعين بالقرب من أحد أبوابها. في كلّ مرة، يجدون طفلاً هناك، والكلّ يتهم العجر أنهم يلدون بلا عاطفة ولانظام. المرأة العجربة تمنح نفسها لأيّ عابر، وعندما تحمل منه تختفي حتّى تُلد. بعد أسبوع، تلفّ المولود في أعطية صوفية، أو في أي شيء يقيه من البرد والعري، وتضعه عند مدخل الكوريدا باكراً، وتظنّ ترأقب العابرين الكثير، المُتوجّهين إلى أعمالهم أو نحو المارشي، حتّى تظننّ أنّ أحداً منهم أخذه"⁵⁸

فهذه شائعات لا أكثر، وبما أنّها تتوالى حول العجر البغضيين، فمن المؤكد أنّ الكثير سيصدقها، إلى درجة أنّ كلّ من يجد طفلاً ينسبه إلى العجر.

ثمّ لم تكن قضية السرقة والتعنّت والصراع هي الوحيدة التي ينسبونها إلى العجر، بل حتّى أنهم يرون العجر مصدراً للأمراض والأوبئة والروائح الكريهة، وهذا جلىّ في كلام العجوز الفرنسية التي اتهمت أنجلينيا بسرقة حقيبتها، عندما تقول:

"أجساد العجزمريضة، وبها رائحة كريهة"⁵⁹

فكل هذه الاتهامات، والتعنّت بحقّ العجر، هو ناتج عن أنساق مضمرة بين الشعوب تجاههم. حتى أنّ المجتمعات التي شهدت حضور العجر تظنّ أنّه لا عواطف إنسانية لهم، ولا تغار الزوجات على أزواجهن حتى، وقد زوّي هذا في رواية "العجر يحبون أيضاً":

"صرّحت في إفادتها أنّها غازلت زوجي أمامي، حتّى إنّ قاضي التحقيق قال لها مازحاً بثقلٍ وسماحة: متى كان العجر يغارون على أزواجهم. سألتها وماذا قلت له. قالت: ضحكْتُ. قلت له: نعم يغارون. هم أيضاً لهم عواطف إنسانية".⁶⁰

فحتّى القاضي الذي من واجبه عدم الانحياز إلى جهة معينة، نراه ينحاز ضدّ العجر، ويتهمهم بعدم المشاعر والغيرة.

4-2-5. العجر والتهرب

يتفق الكثير من الروائيين، على أنّ العجر يهربون المخدرات، والمتفجرات والأسلحة، وباقي الأدوات، ويبرزون هذه المسألة بصورة واضحة وجليّة في نصوصهم ويعطونها أكثر من حجمها. ففي رواية "العجر يحبون أيضاً" نرى تهرب الدخان والكحول أمراً شائعاً لدى الجميع، بيد أنه بمثابة جريمة نكراء إذا تعلّق الأمر بالعجر:

"هو زوجي، بغل، لا يصلح لأشياء كثيرة، باستثناء تهرب الدخان والكحول"⁶¹

ثمّ تعجّب خوسي عندما اعتقل "زباطا" بجرم تهرب الأسلحة والقنابل:

"ماذا صممت أنجلينا ولم تُخبرني؟ استعملتني بغياء؟ العجريّ يبضّ عجباً في أعماقه مهما حاول التنصّل؟ المال ولا شيء غير المال والتهرب؟ لماذا يا زباطا؟ ماذا كان ينقصك؟ تربية وتدريب الثيران أغنتك، وتقاعدك كبير. لم تكن فقيراً لتتبع الأسلحة لقتل الأبرياء. قنبلة في مقهى فندق مارتينيز أخذت في طريقها عشرة أفراد أبرياء"⁶².

كانت تهمة لا أكثر، ألصقت بزباطا، للتخلّص من قدراته ونفوذه في الأوساط العجرية، مع هذا لا يصدّق خوسي كلام أنجلينيا، ويظنها كاذبة مع أنها لم تكن كذلك، ثم يقول:

"ماذا أقول؟ ما داعه إلى كلّ هذا؟ لا أفهم. ألم يجد مهنة أنبل من تهرب الأسلحة. ولمن؟ للإرهابيين. يا إلهي! أين نحن؟ كيف يقف مع قتلة الناس البريئين؟ هل هو في صفنا أم في صف الإرهابيين والقتلة"⁶³؟

عندما ذهب خوسي للبحث عن أنجلينيا، وجد "ميغيل" يدير حفلة رقص في السوق، وما ان انتهى حتّى سأله عن أنجلينيا، ثمّ أخبره بالقصة كاملة، وأخذ يشكو زباطا وما قام به من تهرب الأسلحة والقنابل للإرهابيين:

"أعتقد أنّ التهرب هو ما دمر والدها. هل كان مضطراً إلى ذلك؟ تهرب الأسلحة؟ على كلّ..."

-يا سيد خوسي.. أنت لا تعرف من الأمر إلا الظاهر. غارسيا حاقد على إيميليانو حقداً كبيراً. التهرب شيء آخر، وهو مهنتنا الوحيدة المتبقية لنا للعيش، لكيلا نتحوّل إلى قتلة وسرّاقين"⁶⁴

فمهنه التهريب عند العجر كانت تشمل أشياء بسيطة للعيش لا أكثر، ومع هذا يواجهون لهم شتى الاتهامات، من تهريب للأسلحة والقنابل والمخدرات.

4-2-6. العجر والكذب والخيانة:

يظهر العجر في كثير من الروايات، في هيئة الكذب والخيانة، كما نقرأ في رواية "العجر يحبون أيضاً" حيث يرى خوسي بأن أنجلينيا كذابة:

"مجنون من يصدق عجرية. والله مجنون! وممكن غبي أيضاً! نعم، أنا غبي. كان خوسي يمشي في البيت، ومهترأسه. كيف لامرأة، بهذا الجمال الساحر، أن تكذب؟"⁶⁵

في الواقع لم تكن أنجلينيا كاذبة كما يظن خوسي، بل هي أصدق شخصية في الرواية، ولكن النسق المضمّر للمجتمع الوهراني يرى بأن العجر يكذبون، والكذب والخيانة هي من خصائصهم:

"شعركاتها خاتنه في كبريائه وثقتته. عجرية كبقية العجر! لم يقلها! لكنه فكر فيها"⁶⁶

ليست الخيانة في المجتمع العجري تختص بالنساء فحسب، بل حتى الرجل العجري أيضاً يخون أخاه وأبناء جلدته وبني ذويه، فالخيانة في المجتمع العجري هي ديدن الرجال والنساء معاً، نرى في الرواية غارسيا يخون زباطا الذي كان والد زوجته أنجلينيا، تقول أنجلينيا لخوسي:

"خان الكلب غارسيا بسبيي. لم أتوقع أن يفعل هذا. كنت دائماً أظن أن العشرة وأخلاق العجري تمنعه من ذلك. غارسيا لم يسامحني آتي معك، وأنتك حبيبي، وأنه لم يعد يعني لي أي شيء في حياتي. خرج منها إلى الأبد. كرهني وكرهته أكثر. هو من وشى بزباطا، أبي حبيبي. هل تعرف ماذا يعني هذا؟"⁶⁷

قد يخون العجري أي أحد للحفاظ على منافعه، كما نرى غارسيا زوج أنجلينيا عندما يشي بوالد زوجته زباطا، كي يزج به في السجن ويخلو بأنجلينيا ليقتلها لأنها أحببت خوسي وتحاول تركه.

4-3. الآخر العجري في عيون الأنا العجري

ترسم في سريرة كل إنسان صورة من نفسه، فيرى نفسه وما يحقد بها من معضلات ويكتنفها من ويلات، ففي رواية "العجر يحبون أيضاً" تروي أنجلينيا معاناة العجر قائلة:

"أنا من بيت يرفض الظلم. من أم غرناطية وأب من أهالي وهران. عائلتي تعرضت لكان الولايات، كغيرنا من عجر هذه البلاد، من محنشات النازية، وتجريب غاز نيكولون ب، في جهنم بوزنفال، إلى التعقيم حتى لا تلد نساؤنا. والدي يتساءل كثيراً كيف نقذت عائلتنا الصغيرة من هذا

الخراب القاسي. ربما لم يكن يحمل وثيقة المرتحل الأنثروبوميترك التي تثبت أنه متحرك، غير مستقر في مكان معين، وكانت تُمنح للفجر لتبرير هوياتهم، ولم نخضع لقانون 16 جويليه 1902"⁶⁸

تروي أنجلينا للمتلقى، في هذه الأسطر القليلة، ما ألمّ بالغجر من بلايا وملّمات، كتعرّضهم للويلات، وقتلهم في المحتشدات النازية، وعُقم نساءهم، وفرض القوانين الصارمة عليهم، فمن ينجو من هذه المهالك المحدقة به، ستكون بقية المجتمعات بمثابة الجنة والمدينة الفاضلة له. ترى أنجلينا بأنّ العجري، لكونه عجري، هو ضحية مجتمعه ويعامل كالحوانات، فتوجب إبادته لأنّه يشوه الجنس الراقي:

"باغونا يا عزيزي خوسي. أنت لا تشعر بهذا الظلم وهذه القسوة. تخيل نفسك للحظة، تأتي يدٌ عسكرية وتشحنك في شاحنة ثقيلة، ثم تُرمى في باخرة لنقل الحيوانات إلى فرنسا، وعندما تفتح عينيك تجد نفسك في محتشد داشو، ومن هناك، إلى محتشدات الموت والمخابر النازية التجريبية على أجسادنا. لم يكن مهماً أن تكون فرنسياً. فأنت في النهاية محسوب على الغجر ولهذا، وُجب أن تُباد، لأنك تشوّه الجنس الراقي. صحيح أنّي عجزتُ لا تعرف المخاطر أولاً تعيها"⁶⁹

فقتل العجر، والمخاطر التي تحدد بهم، واضهادهم من قبل النازيين، أصبح من الجرائم التي باتت شبه منسية لدى المؤسسات العالمية لحقوق الإنسان، لذا يوظف الروائي شخصية أنجلينا، ليروي هذه المعاناة والمصائب التي حلّت بالغجر، وبالأنا العجرية، ويبرزها بصورة واضحة وملموسة للمتلقى من خلال تسلسل أحداث رواية "العجر يحبون أيضاً". يروي لنا الأعرج، أنّ الخيانة لدى الرجل والمرأة العجرية ظاهرة طبيعية، ولا يغار أحدهما على الآخر، فهما هي حبيبة خوسي تعلم بخيانة حبيبها ومع ذلك لا تريد فراقه، حتى ولو كان الثمن وجود امرأة سافرة معه:

"تقدم منه غارسيا بيكينيو.

- تعرف كم أحبّك يا خوسي، لأنك رشيقي وابن مدينتي! لا بأس أن تخونني هذه القحبة معك، لكن لا أقبل أن تتركني وتذهب معك"⁷⁰

يصور لنا الروائي أنّ غارسيا، وهو رمز للرجل العجري، لا يغار ولا يمانع ما إذا كانت زوجته في أحضان رجل آخر:

"عندنا تسليم بضاعة، الليلة، يا أنجلينا. أبوك سيقتلنا إذا خذلناه. الأحصنة محملة. ننتهي من الشغل، وبعدها عودي له إذا أحببت"⁷¹

فغارسيا هو الذي يطلب من زوجته أنجلينا الذهاب إلى حبيبها خوسي، كما ترى أنجلينا أنّ حياة العجر زفت وكارثية، فهم يستمتعون بأكل لحم بعضهم بعضاً ولا يرحم أحدهم الآخر، لذا تبدي نقيمتها عليهم وعلى معيشتهم القاسية، وتريد الانتقام منهم:

"شايف يا خوسي. هكذا، ستبقى معي ولن تهرب مني. هذا كلّه من بؤس العجر. أنا أدافع عنهم، لكنّ حياتهم زفت وكارثية. يستمتعون بأكل لحم بعضهم بعضاً. أنا الليلة ناقمة على كلّ ما يحيط بهم، وبرزت ثقافتهم الكارثية. اللعنة عليهم وعلى معيشتهم القاسية. لابدّ أن أنتقم منه الليلة"⁷²

ثم تذكر انجلينيا الدوافع والاسباب التي أدت إلى إبادة الغجر قائلة:

"فتشيني يا وسخة. لا تختلف رائحتك عن رائحة النازيين. ألم تكن آريين من أصول هندية؟ ومع ذلك ذبحونا. فعلوا ما تفعلينه الآن معي. اعتبرونا جنساً منحطاً، لأننا اختلطنا كثيراً مع غيرنا من الأقوام. آريون فاسدون. لهذا، كان مصيرنا في النهاية المحتشدهات الجهنمية. وحولونا إلى فئران تجربة لغازات الموت التي أبادتنا بشكل كلي. طبعاً لا تعرفين هذا، لأنّ كتبك المدرسية لا تتحدث عن هذه الإبادة الجماعية"⁷³

في وهران وهي المدينة الخاضعة للسلطة الفرنسية، تتحدّث أنجلينيا عن عرقها الغجري الآريّ الهندي، فهذه الجماعة من الغجر، سُمّيت بالمناوش في فرنسا والجزائر "وهم البوهيميون التقليديون. واسمهم يعني في اللغة السانسكريتية (الأصليين)، وهم يسمون أيضاً السينتي لأنه يحتمل أن يكونوا من أصل هندي، وفروا من على شواطئ نهر السند وينقسمون إلى عدة جماعات فرعية. ويلاحظ أن هناك جماعات غير غجرية تحاول الانضمام إلى الجماعات الغجرية مثل صانعي السلال، أو مصلحي الكراسي، أو بائعي الأدوية الزائفة، أو المشعوذين، أو المهلوانات، وتحتقر جماعات الغجر هذه الجماعات المنتسبة لهم"⁷⁴ ثم تكمل أنجلينيا قائلة:

"في المرة القادمة، التفني جيداً قبل أن تتّهي الغجر. لسنا سراقاً. ناس يحبّون الحياة، ولا يعتدون على أحد، لكنهم لا يقبلون الذل أبداً"⁷⁵

فتبيّن للمتلقّي أنّ الغجر ليسوا سراقاً ولا يعتدون على أحد كما يظن الغير، فهم إناس يحبون العيش والحياة كما يحبها غيرهم، ويأبون الذلّ كما يأباه الآخرون، لكنّ المجتمعات الأخرى، بنظرتها الدونية لهم، جعلتهم يتشدّدون على مبادئهم وقيمهم.

4-3-1. ثقافة الغجر

تبحث الروايات عادة، عن شرح لثقافة الشخص والخصائص التي تميزها عن غيرها، وهذا ما نراه في الروايات التي عالجت قضايا مرتبطة بالغجر، فمثلاً في رواية "الغجر يحبون أيضاً" نرى أهمية المرأة عند الغجر، وثقافتهم في المحبة، كما يرويه لنا الروائي:

"ضربني على وجهي بعنف كبير، كأنه كان يريد قتلي. انتابته حالة غيرة أعجبتني في البداية. في ثقافتنا الغجرية، المرأة التي يغار عليها زوجها يعني أنّها مرغوبة؛ والعكس صحيح، المرأة التي لا ينتبه زوجها للدين يحومون من حولها، معناه لا يحبّها"⁷⁶

فغيرة الرجل الغجري على زوجته أو حبيبته وضربه لها، يدلّان على الحب والموّدة الكامنة بينهما، بينما الرجل الذي لا يغار على زوجته ولا ينتبه للذين يحومون حولها، فهذا معناه أنها غير مرغوبة لديه ولا يكتفّل لها محبة. ما زال الغجر يفضلون الزواج التقليدي المنحصر بهم، كما لا ينتشر بينهم الطلاق ويستعيدون به بما يسمّى بالـ"كروا" وهو ما يشبه التآخي بين الزوجين في حال ملّ أحدهم الآخر، ففيما مضى كان الغجر يحرقون خيمة المتوفى بما فيها من اغراضه، وملابسه، وما يملكه، بيد أنّ هذه الظاهرة ضلّت شيئاً فشيئاً، حيث سكن أكثرهم البيوت الإسمنتية. وبالرغم ممّا قيل ويشاع عنهم من صفات غرائبية، إلّا أنّ

مجتمعهم يبقى من المجتمعات التي حافظت على نفسها من الاندثار، من خلال تمسكهم بثقافتهم التي حملوها على ظهورهم وجابوا بها أرجاء المعمورة.

4-3-1-1. العذرية عند الفجر

للعذرية أهمية بالغة لدى الفجر، فالفتاة الفجرية، عند زواجها، تخضع لطقوس العذرية على يد نساء القبيلة:

"في الحقيقة، استجبت لطلب والدي، لأنه كان يعمل معه، وكان مقرّباً منه أنا نفسي لا أدري كيف قبلت به! ومن أجل الزواج منه، أخضعتني عائلته لكن طقوس العذرية التي كنت أكرهها عند الفجر. لم أكن أريد أن أحزن أُمِّي وأحوّلها إلى مسخرة، فقد بكت كثيراً في حياتها"⁷⁷

تروي أنجلينا قصة حياتها، وتصرفاتها الجنونية، لحبيبها، إلا في مسألة العذرية، فإنّها تصرفت بصورة عقلانية، رغم كرهها لهذه الطقوس، فقد حافظت على عذريتها، كي لاتحزن أمها وتحولها إلى مسخرة الآخرين، ولأنّها تعرف بأنه ستكون مجبرة، في يوم من الأيام، للدفاع عنها:

"قمت بكلّ الحماقات إلا عذريتي. حافظتُ عليها، لأنّي كنت أعرف سيأتي يوم وأكون مجبرة على الدفاع عنها. في أعماقي، كنتُ خائفة من فقدها، لأنّي في مرّة من المرات، فتحتُ رجلي أكثر من اللازم وأنا أرقص، لدرجة أنّي شعرتُ بالمرقّ وتمزّق، لكفي عندما فحصت نفسي لم أردماً.

- ما هذا الهراء؟ أين نحن؟ كأننا نعيش في كوكبين مختلفين.

- أظنّ ذلك بالفعل. أنت لا تعرف شيئاً عنيّ، إلا الرقص والرغبة المجنونة في الحياة. لكن، أنا يا عزيزي خوسي، لا نصبر لي عندما أقع بين أيدي نساننا اللواتي يختبرن عذريتي، إلا تحمّل الهدلة. سيبدو لك الأمر غريباً! وعندما أثبتتُ عذريتي التي كنتُ خائفةً من أن تكون قد ضاعت، ونجحتُ في امتحان الفحص. ومنحتُ المندبل لأمّ غارسيا التي فرحت به جداً، لأنّها تأكّدت من أنّ كنتُها عذراء"⁷⁸

فرغم السفور والفساد والدعارة التي تحيط بالفجر، إلا أنّ هناك قوانين صارمة يجب على الفتيات العذراوات الإلتزام بها، وأن يصنّ أنفسهنّ ويخضعن للفحص العذري عند زواجهنّ.

4-3-1-2. الاغتصاب عند الفجر

كثيراً ما نقرأ عن اغتصاب الفتيات في الوسط الفجري، وكأنّه أصبح أمراً عادياً. تروي لنا أنجلينا، قصة اغتصاب غارسيا لها، والذي أدّى إلى زواجه منها، حيث تقول:

"تعرف أنّي لا أريد أن أنام معك الليلة بالتحديد. ليس لكوني لا أجد شيئاً فيك، ولكنّها فترة إخصابي، وأكون في وضع غير سليم.. حبيبي. اعذرني الليلة، أرجوك. تذكرت ليلتها كيف اغتصبني بعنف، ذات مرّة وهو في حالة سكره الشديد، في عزّ حالة هياجه. كتفتني مثل خروف، وقام معي بكلّ ما يُمكن أن يفعله مغتصب، وبيّنتي مكثّفة ومربوطة على السرير. وكلّما أرادني، فعل بي ما اشتهاه حتّى أنّي لم أعُد أحسنّ به"⁷⁹

تعيش مع العجر، بعاداتهم وتقاليدهم، جماعة ليست من العجريين، تسمى "غادجو" (Gadjo)، تُعرف باغتصاب الفتيات العجريات، فتروي لنا أنجلينا:

"زُوجوني شابة خوفاً من أن أسقط بين ذراعي غادجو ملعون يلعب بعقلي، وهم كثروا يعيشون بيننا، بعاداتنا وتقاليدينا"⁸⁰

ليس الآخر وحده من يغتصب العجريات، بل هناك من العجر أنفسهم من يقوم بهذا الاغتصاب، ففي رواية "العجر يحبون أيضاً" نرى غارسيا وهو يحاول اغتصاب زمردة:

"حاول اغتصاب زمردة، لكن فتح وجهه بضربة سكين حادة"⁸¹

وزمردة هي الفتاة العجرية التي وقع في حبها قبل زواجه من أنجلينا.

5. النتائج

رواية "العجر يحبون أيضاً"، من الروايات التي حاول الأعرج، من خلالها، الخوض في المعاناة التي ألمت بالطائفة العجرية، والتطرق إلى الطقوس والعادات الخاصة بها، والتمييز العنصري الممارس ضدها، وإبرازها بصورة بيّنة وملموسة للمتلقي، وقد وظّف الروائي التاريخ واستمد منه للقيام بهذه المهمة، كما أنه حاول أن يروي قضايا مرتبطة بالعجر من خلال نظرة الآخر الفرنسي له، فقد كان من الطبيعي أن يعامل الآخر الفرنسي، بصفته المحتل لوهران، العجر والعرب هذه المعاملة الشنعاء، كما أنّ هناك نظرة أخرى للآخر العجري، وهي نظرة العجري لنفسه، حيث كانت هذه النظرة، نظرة دونية، تهاجم العادات والقيم العجرية، وتنظر إلى العجري بعين السخط والكراهية، حيث تبدي نقيمتها عليهم وعلى معيشتهم القاسية، وتربص للانتقام منهم.

¹ . رجب، محمود، (1981م): المرأة والفلسفة، حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية، جامعة الكويت، دط، ص 015

² . أسعد، ميخائيل إبراهيم، (1987م): شخصيتي كيف أعرفها؟ ط3، بيروت: دار الأفاق ص72.

³ . حتون، عبد الحميد، (1986م): صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 82.

⁴ . كاظم زاده، فاطمه، وعبيد عبود، وسعيد بزرگ بيكدلي، (2013م): "صورة الآخر في رواية قبل الرحيل ليوسف جاد الحق مجلة العلوم الإنسانية، ع 2 (1)، صص 73-88، ص 74.

⁵ . عيسى، فوزي، (2011م): صورة الآخر في الشعر العربي، التدقيق اللغوي والمراجعة عبدالعزيز جمعة، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ص5.

⁶ . نامور مطلق، بهمن، (2010م): دراسة صورولوجية لتعريف بطريقة نقدية في الأدب التطبيقي، دراسات في الأدب المقارن، جامعة آزاد الإسلامية جيرفت، السنة 3، العدد 12، صص 119-138. ص122.

⁷ . بوحلايس، سلاف، (2009م): صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، أطروحة ماجستير، الجمهورية الجزائرية: جامعة الحاج لخضر، ص 15.

⁸ . المصدر نفسه: 16.

9. عباسعلي نجاد، مريم وآخرون، (2019م): جدلية الأنا والآخر في أشعار عزالدين المناصرة المقاومة، مجلة الأدب العربي، جامعة طهران، السنة 11، العدد 1، صص 1-22. ص 7.
10. المصدر نفسه: 7.
11. ابن منظور، (1303ق): *لسان العرب*، ط 1، ج 7، المطبعة الأميرية، بيولاق، مصر. مادة أنا.
12. حسبية، مصطفى، (2009م): *المعجم الفلسفي*، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ص 103.
13. السليمان، أحمد ياسين، (2009م): *التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر*، دمشق: دار الزمان ص 91
14. أفاية، محمد نور الدين، (1991م): *الغرب في المتخيل العربي*، المشاركة: منشورات دائرة الثقافة والإعلام، ص 11.
15. الهروط، بلال سالم، (2008م): *صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية*، أطروحة للدكتوراه، أردن: جامعة مؤتة، ص 13.
16. علوان، محمود، (2013م): "رط.. غجر.. نور.. حلب.. تعددت الأسماء.. والغجري واحد"، جريدة فيتو، جريدة اسبوعية، تصدر عن شركة الاحرار للصحافة والطباعة والنشر، ص 2.
17. نبيل، صبري، (1980م): "جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية، ط 1، القاهرة: دار الآداب، ص 15.
18. حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص 7.
19. ذكاء، يحيى، (1959م): *كولي وزندي او*، ط 1، تهران: هنرهای زیباي كشور، ص 9-10.
20. نبيل، صبري، (1980م): "جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية، ص 16.
21. ذكاء، يحيى، (1959م): *كولي وزندي او*، ط 1، ص 10.
22. حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، ص 173.
23. الأعرج، واسيني، (2019م): *الغجريحبون أيضاً*، ط 1، بيروت: دار الآداب، ص 12.
24. المصدر نفسه: ص 15.
25. المصدر نفسه: ص 19.
26. المصدر نفسه: ص 247.
27. الحديثي، طه حمادي، (1979م): *الغجروالقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية*، ط 1، الموصل: نشر جامعة الموصل، ص 10.
28. الأعرج، واسيني، (2019م): *الغجريحبون أيضاً*، ص 84.
29. المصدر نفسه: ص 209.
30. نبيل، صبري، (1980م): "جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية، ص 17.
31. الأعرج، واسيني، (2019م): *الغجريحبون أيضاً*، ص 84-210.
32. كحيلية، (1994م: 7).
33. الأعرج، واسيني، (2019م): *الغجريحبون أيضاً*، ص 241.
34. نبيل، صبري، (1980م): "جماعات الغجر" مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية، ص 36.
35. الأعرج، واسيني، (2019م): *الغجريحبون أيضاً*، ص 24.
36. المصدر نفسه: ص 200.
37. حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، ص 18.
38. الأعرج، واسيني، (2019م): *الغجريحبون أيضاً*، ص 11.
39. المصدر نفسه: ص 16.
40. حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، ص 25.
41. الأعرج، واسيني، (2019م): *الغجريحبون أيضاً*، ص 12.
42. المصدر نفسه: ص 35.
43. المصدر نفسه: ص 36.
44. المصدر نفسه: ص 98.
45. المصدر نفسه: ص 201-202.
46. المصدر نفسه: ص 202.

- 47 . المصدر نفسه: 203-204.
- 48 . المصدر نفسه: 203.
- 49 . المصدر نفسه: 149.
- 50 . المصدر نفسه: 274.
- 51 . كحيلة، 1994 م: 7.
- 52 . الأعرج، واسيني، (2019م): الغجريحيون أيضاً، ص 109.
- 53 . حمود، ماجدة، (2013م): إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، الكويت: عالم المعرفة، ص 8.
- 54 . الأعرج، واسيني، (2019م): الغجريحيون أيضاً، ص 147.
- 55 . المصدر نفسه: 214.
- 56 . المصدر نفسه: 110.
- 57 . المصدر نفسه: 110.
- 58 . المصدر نفسه: 181.
- 59 . المصدر نفسه: 112.
- 60 . المصدر نفسه: 150.
- 61 . المصدر نفسه: 152.
- 62 . المصدر نفسه: 192.
- 63 . المصدر نفسه: 194.
- 64 . المصدر نفسه: 211.
- 65 . المصدر نفسه: 115.
- 66 . المصدر نفسه: 191.
- 67 . المصدر نفسه: 193-194.
- 68 . المصدر نفسه: 52-53.
- 69 . المصدر نفسه: 60-61.
- 70 . المصدر نفسه: 66.
- 71 . المصدر نفسه: 67.
- 72 . المصدر نفسه:
- 73 . المصدر نفسه: 113.
- 74 . نبيل، صبري، (1980م): "جماعات الفجر" مع إشارة خاصة للغجري في مصر والبلاد العربية، ص 15.
- 75 . الأعرج، واسيني، (2019م): الغجريحيون أيضاً، ص 119.
- 76 . المصدر نفسه: 86.
- 77 . المصدر نفسه: 88.
- 78 . المصدر نفسه: 88-89.
- 79 . المصدر نفسه: 87.
- 80 . المصدر نفسه: 89.
- 81 . المصدر نفسه: 274.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن منظور، (1303ق): *لسان العرب*، ط 1، ج 7، المطبعة الأميرية، بيوتلاق، مصر.

- أسعد، ميخائيل إبراهيم، (1987م): *شخصيتي كيف أعرفها؟* ط3، بيروت: دار الآفاق.
- الأعرج، واسيني، (2019م): *العجري يحبون أيضاً*، ط1، بيروت: دار الآداب.
- أفاية، محمد نور الدين، (1991م): *العرب في المتخيل العربي*، الشارقة: منشورات دائرة الثقافة والإعلام.
- بوحلايس، سلاف، (2009م): *صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري*، أطروحة ماجستير، الجمهورية الجزائرية: جامعة الحاج لخضر، ص 17-18.
- الحديثي، طه حمادي، (1979م): *العجروالقرج في العراق: دراسة مقارنة في الجغرافيا الاجتماعية التطبيقية*، ط1، الموصل: نشر جامعة الموصل.
- حسيبة، مصطفى، (2009م): *المعجم الفلسفي*، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- حمود، ماجدة، (2013م): *إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)*، الكويت: عالم المعرفة.
- حتون، عبد الحميد، (1986م): *صورة الفرنسي في الرواية المغربية*، ديوان المطبوعات الجامعية.
- حيدر، جمال، (2008م): *ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب*، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- ذكاء، يحيى، (1959م): *كولي وزنديكي او*، ط1، تهران: هنرهای زیبای كشور.
- رجب، محمود، (1981م): *المرأة والفلسفة، حوليات كلية الآداب، الحوليات الثانية*، جامعة الكويت، دط، ص 07.
- السليمانى، أحمد ياسين، (2009م): *التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر*، دمشق: دار الزمان.
- عباسعلي نجاد، مريم وآخرون، (2019م): *جدلية الأنا والآخر في أشعار عزالدين المناصرة المقاومة*، مجلة *الأدب العربي*، جامعة طهران، السنة 11، العدد 1، صص 1-22.
- علوان، محمود، (2013م): *"زط.. غجر.. نور.. حلب.. تعددت الأسماء.. والعجري واحد"*، *جريدة فيتو*، جريدة اسبوعية، تصدر عن شركة الاحرار للصحافة والطباعة والنشر.
- عيسى، فوزي، (2011م): *صورة الآخر في الشعر العربي*، التدقيق اللغوي والمراجعة عبدالعزيز جمعة، الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.
- كاظم زاده، فاطمه، وعبيد عبود، وسعيد بزرگ بيكدلي، (2013م): *"صورة الآخر في رواية قبل الرحيل ليوستف جاد الحق"*، مجلة العلوم الانسانية، ع 2 (1)، صص 73-88.
- نامور مطلق، بهمن، (2010م): *دراسة صورولوجية لتعريف بطريقة نقدية في الأدب التطبيقي، دراسات في الأدب المقارن*، جامعة آزاد الإسلامية جيفت، السنة 3، العدد 12، صص 119-138.
- نبيل، صبري، (1980م): *"جماعات العجور" مع إشارة خاصة للعجور في مصر والبلاد العربية*، ط1، القاهرة: دار الآداب.
- الهروط، بلال سالم، (2008م): *صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية*، أطروحة للدكتوراه، أردن: جامعة مؤتة.